

قراءة في الاستعارة: توظيف المقاربة المعرفية في الترجمة

نصر الله بن شرقي
المركز الجامعي النعامة

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى استثمار منهج من مناهج المقاربة المعرفية قصد قراءة وتحليل الاستعارة المسماة "الاستعارة الممتدة"، وهو منهج تم استنباطه على يدي الباحث الفرنسي المقيم بأمريكا "جيل فوكونييه" (Gilles Fauconnier) والمسمى "المزج المعرفي" (Cognitive blending) وزميله الأمريكي "مارك تورنير" (Mark Turner). أما الذي يرجى من هذه القراءة المعرفية للاستعارة المذكورة -إن هي نجحت- فعلى الأقل ثمرتان: إحداهما تمكين المترجم من وسيلة جديدة تعينه على نقد ترجمة ذات الاستعارة، والأخرى جعله قادرا على أن يوسع من نطاق قراءته لها في النص الأصلي من أجل إنجاح مهمة ترجمتها، وبالتالي استحقاق المكانة التي تهدف الدراسات الترجمانية الحديثة أن تبوأه إياها، ألا وهي جعله مشاركا في صناعة المعنى لا ناقلا له وحسب.

الكلمات المفتاحية:

المقاربة المعرفية؛ الاستعارة الممتدة؛ المزج المعرفي؛ الفضاء الذهني.

شيء من التاريخ...

لم تعد المقاربة المعرفية دخيلة على علم الترجمة كما كان عليه الأمر في التسعينيات عندما انتبه إليها المنظرون بوصفها معينا لأفاق جديدة في البحث في سيرورة الترجمة، إذ هذه المقاربة ذات صلة وطيدة بعلم النفس بل قد أسست لمبحث خاص بها ألا وهو علم النفس المعرفي إلى جانب اللسانيات المعرفية وغيرها من المباحث والعلوم.

كيف نشأت هذه العلوم؟

لنترك أحد الشهود العيان على هذه النشأة يصف بزوغ فجرها، وهو "جورج ميلر" (George A. Miller) الذي كان أحد الباحثين الأوائل في التوجه المعرفي، وأصدر عام 1951 كتابه "اللغة والتواصل" (Language and Communication)¹. الذي يقول فيه: "كنت عام 1951، لا أزال أرجو، فيما يظهر لي، كسب الاعتراف العلمي بالولاء للسلوكية (Behaviourism). وبعد خمس سنوات، عندما تأثرت بزملاء من مثل "نوام تشومسكي" (Noam chomsky) و"جيرري برونير" (Jerry Bruner)، توقفت عن ذلك الرجاء، وعليه فإني أؤرخ الثورة المعرفية في علم النفس بتلك السنوات، أوائل الخمسينيات"².

ويمضي ميلر في تعداد البحوث التي كانت تمارس ضمن التوجه المعرفي: "بينما كان علماء النفس التجريبيون يحاولون التفكير من جديد في تعريف علم النفس، كانت تطورات مهمة تحدث في مجالات أخرى. فالـ: "سايبيرنيطيقية"³ لـ "نوربرت فينير" (Norbert Wiener) بدأت تكتسب شعبية، وشرع "مارفين مينسكي" (Marvin Minsky) و"جون ماكارتي" (John McCarthy) في ابتكار "الذكاء الاصطناعي"، وابتدأ "ألان نول" (Alan Newel) و"هيرب سايمون" (Herb Simon) في استخدام الحواسيب في محاكاة السيرورات المعرفية. وأخيراً، كان تشومسكي وحده معيدا لتعريف اللسانيات.

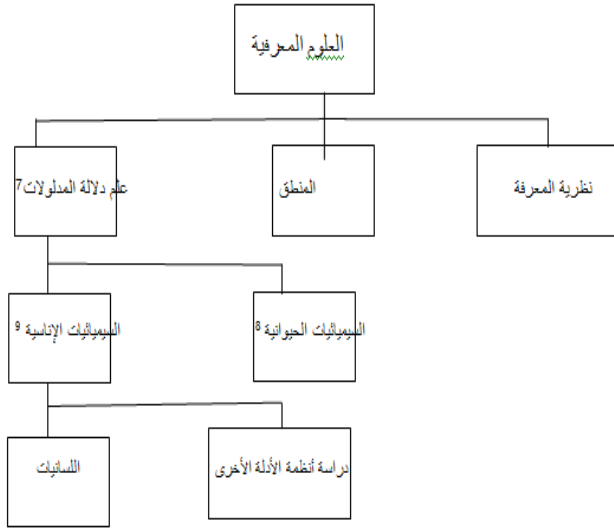
أما عن "لحظة تصور الجنين"، فيؤرخها ميلر بعام 1956، قائلاً: "أؤرخ لحظة تصور العلوم المعرفية بالحادي عشر من سبتمبر 1956، وهو اليوم الثاني من الندوة التي نظمتها "المجموعة ذات الاهتمام الخاص بنظرية المعلومات" بمعهد "ماساتشوستس" للتكنولوجيا"⁴.

وتأتي لحظة الميلاد: "بحلول عام 1960، إذ بات واضحاً أن أمراً ما من المباحث البنائية بدأ بالبروز. سميناه نحن في "جامعة هارفارد" "الدراسات المعرفية"، وسموه في "جامعة كارنيجي ميلون"

"علم نفس معالجة المعلومات"، وفي "جامعة لاجولا" "العلم المعرفي". لم يكن الاسم الذي يطلق على هذه الدراسات بالأمر المهم إلى غاية عام 1976.⁵

ماذا يشمل هذا المبحث؟

يرى ميلر أن مبحث العلوم المعرفية يشمل على الأقل ستة مباحث: علم النفس واللسانيات والعلوم العصبية والأنثروبولوجيا، الفلسفة. ويحتل حسب رأيه دائما، علم النفس واللسانيات وعلوم الحاسوب المركز، بينما تأتي المباحث الثلاثة الأخرى محيطة بها.⁶ ويمكن تلخيص العلاقة بين المباحث الداخلة في العلوم المعرفية في المخطط التالي:



أما المبحث الذي سنوليه اهتمامنا في هذا المقال من بين المباحث المعرفية فهو اللسانيات التي اتخذت شكلا جديدا بفضل علاقتها بهذه المباحث. وهو شكل جاء ليضاف إلى التوجهات اللسانية الأخرى وبات يسمى "اللسانيات المعرفية" التي كان رائدها، كما سلف

الذكر، نوام تشومسكي، حيث اعتمد على نظرية المعلومات لإبراز "القواعد التوليدية التحويلية" لعموم الباحثين.¹⁰

وإذا ما سعينا إلى تعريف اللسانيات المعرفية، فسنجد أنها ليست نظرية واحدة، وإنما هي إطار علمي ضمن اللسانيات العامة يشمل نظريات وبرامج بحث مميزة نقطة التركيز الأساس لهذه النظريات والبحوث هي شرح العلاقة الحميمة بين اللغة والكفاءات المعرفية الأخرى.¹¹

بدأ بروز اللسانيات المعرفية في السبعينيات من القرن العشرين، ثم امتدت في أواسط الثمانينيات من القرن نفسه لتشمل مجالات واسعة من اللسانيات العامة، مثل التركيب وعلم الدلالة والصوتيات اللغوية والخطاب وغيرها.¹²

بعد هذا كان لزاما أن يتأثر علم الترجمة بالعلوم والمقاربة المعرفية لتأثر اللسانيات بها وهو المرتبط باللسانيات ارتباطا تاريخيا وعضويا، حتى صار قطاعا واسعا من علم الترجمة مرتبطا بالمقاربة المعرفية، بل إن بعضا من البحوث الحديثة تتخذ من علم الترجمة "علما معرفيا".¹³

يسرد "ميشال بوليتيس" (Michel Politis) - وهو باحث يوناني مهتم بتطبيق المقاربة المعرفية - بعضا من أوائل البحوث المعرفية في حقل الترجمة وهي التي كانت تنطلق أساسا من النظر إلى الترجمة على أنها "سيرورة معرفية": "أحد أوائل المحاولات التجريبية لدراسة سيرورة الترجمة، كانت تلك التي تمثلت في تطبيق منهجية "التفكير بصوت عال" (TAP) (Think Aloud Protocol). كتجربة "موريس بيرنييه" (Maurice Pergnier) (1980) التي لحقتها تجارب أخرى مثل التي قام بها: "فولفغانغ لورشير" (Wolfgang Lörcher)، و"هانز بيتر كرينغز" (Hans-Peter Krings) و"جوليان هاوس" (Julianne House) و"دونالد شارل كيرالي" (Donald Charles Kiraly) و"بول كوسماول" (Paul Kussmaul).¹⁴

وفي بحثنا هذا سنركز على الاستعارة - وهي اللفظ العربي المقابل للفظ الإنجليزي (Metaphor) - باعتبارها نقطة تقاطع بين علم الترجمة واللسانيات المعرفية بل والمقاربة المعرفية عموماً.

عن أي استعارة نتحدث؟

يعرف "السكاكي" (626 هـ) الاستعارة في البلاغة العربية على أنها "تشبيه حذف منه المشبه به أو المشبه، ولا بد أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائماً، كما لا بد من وجود قرينة لفظية أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه به أو المشبه. والغرض منها إيضاح الفكرة وإبراز الصورة البلاغية بمظهر جميل يؤثر في العاطفة ويلهب الخيال"¹⁵

ومن المعلوم أن البلاغيين العرب قد قسموا الاستعارة إلى أقسام كثيرة يطول شرحها في هذا المقام: وهي: "الاستعارة الأصلية" و"الاستعارة التبعية" و"الاستعارة التصريحية" و"الاستعارة التمثيلية" و"الاستعارة المجردة" و"الاستعارة المرشحة" و"الاستعارة المطلقة" و"الاستعارة المطلقة" و"الاستعارة المعيبة" و"الاستعارة المكنية"¹⁶

أما البلاغيون الغربيون، فالاستعارة عندهم مجاز بلاغي فيه انتقال معنى مجرد إلى تعبير مجسد عن طريق استبدال التعبير المجسد بالمجرد من غير اللجوء إلى أدوات التشبيه أو المقارنة.¹⁷

ويعدد الناقد الإنجليزي "ريتشاردز" (I. A. Richards) في كتابه "فلسفة البلاغة" (The Philosophy of Rhetoric) (1963) عناصر الاستعارة كالآتي:

- موضوع الاستعارة، أو ما سماه بفحواها (tenor)، أي "المشبه".

- حامل المشبه أو مركبته (vehicle)، أي "المشبه به".

- الأساس (ground)، وهو العنصر التجريدي الذهني البحت الذي تحت تأثيره تتم عملية التماثل بين الفحوى والمركبة. يشمل هذا العنصر "القصد من تركيب الاستعارة" و"وجه

الشبه بين الفحوى والمركبة". وهذا العنصر، في رأي ريتشاردز، أصعب وجه في تحليل الاستعارة الأدبية.¹⁸ وبدورهم قسم البلاغيون الغربيون الاستعارة أقساما متعددة نحو "الاستعارة المجسمة" (Anthropomorphic) و"الاستعارة المادية" (Concretive) و"الاستعارة الباعثة للحياة" (Animistic) و"الاستعارة النقلية الحسية" (Synaesthetic).¹⁹ إلا أن السؤال الذي كان ينبغي أن يطرح قبل هذا العرض هو ما الخصوصية التي جعلت الاستعارة تكتسي هذه الأهمية؟ قد نجد الاستعارة معرفة من أحدهم على أنها "ملفوظ تتعرض فيه عبارة أو أكثر إلى تغيير ظرفي في المعنى". وتعريف كهذا يفترض معالجة دلالية للاستعارة.²⁰

بينما قد يأتي آخر بتعريف للاستعارة فيصورها على أنها "ذكر شيء ما وإرادة آخر"، وهذا التعريف يفترض بوضوح معالجة تداولية للاستعارة، وهي ولا شك معالجة تختلف عن المعالجة الأولى أي الدلالية. هاتان الحقيقتان تبرزان بما لا نزاع فيه أن الاستعارة ميدان تنافس بين "علم الدلالة" (Semantics) و"التداولية" (Pragmatics).²¹

ونحن في رأينا الخاص، وهذا ما يأمل هذا البحث تحقيقه ولو ببادرة فيه، إمكانية التقريب بين الوجهتين بفضل اللسانيات المعرفية والمقاربة المعرفية، إذ هذه قد جعلت من علاقة اللغة بالفكر والسيرورات الذهنية المرتبطة بها، صعيدا خصبا لممارساتها البحثية، ولا ريب في أن علاقة إرادة المتكلم أو المنتج للملفوظ بالمضمون اللغوي لذات الملفوظ تجد مستقرا لها في الصعيد المذكور.

وبالتالي، فإن البحث في الاستعارة من خلال المقاربة المعرفية، يمكّنا من إضافة شيء لما جاءت به الدراسات الدلالية والتداولية التي تناولتها، من خلال إثراء ما سبق، واتخاذ هذه المقاربة فصلا بين النظرتين المتقابلتين (الدلالية و التداولية).

تفرق اللسانيات المعرفية بين نوعين من الاستعارات، "الاستعارة الاسمية" (Nominal metaphor) التي تستخدم المركب

الاسمي استخداما استعاريا، كقول أحدهم: " ابني **ملئك** "، و"الاستعارة الموضوعية" (Predicative metaphor) التي تستخدم الأفعال استخداما استعاريا، كقول أحدهم: " **طارَ الكلب** من الفناء الخفي ". بالإضافة إلى الكلمات المفردة، فإن "العبارات" و"الجملة" والنصوص الأكثر امتدادا" تستخدم هي الأخرى استخداما استعاريا²² ونفتح قوسا هنا لنقرر أن الصنف الثالث من المذكورات الأخيرة، وهو "النصوص الأكثر امتدادا" هو محل اهتمامنا في هذا البحث بحكم المنهجية المعرفية المتبعة في التحليل، ألا وهي "المزج المعرفي"، وسيأتي التعريف بها.

قد تعتبر الاستعارة من خلال كونها "عبارة خاطئة بالمعنى الحرفي"، والتداوليات التقليدية في تحليلها للاستعارة تفترض أن المعنى الحرفي هو أول ما يحتسب دائما. و فقط في حال عدم وجود معنى في السياق للمعنى الحرفي، يتم اللجوء إلى البدائل من المعاني الاستعارية المشتقة، كما جاء عند "سورل" (Searle).²³

في هذه الحال، علينا أن نلغي المعنى الاستعاري متى ما أمكننا أن نعتبر المعنى الحرفي مستقيما. إلا أن البحوث كذلك التي قررها "فلوكسبرغ" (Glucksberg) و"قيلديا" (Gildea) و"بوكين" (Bookin)، تؤكد أنه حيثما وجدت الاستعارات فإن الذهن يعالجها "أليا" دونما حاجة ظاهرة أحيانا إلى فعل ذلك. بل إن فهم العبارات الاستعارية ليس بالعصي على الذهن مقارنة بالعبارات الحرفية، كما أكد ذلك "أورثوني" ورفاقه (Orthony et al.). ومما سبق، يحق لنا أن نستخلص أن المعنى الحرفي لا يملك إطلاقا الأولوية كما تدعي التداوليات التقليدية.²⁴

أكدت البحوث المعرفية المختلفة أن الاستعارة، إضافة كونها مقارنة (أو تشبيه على ما يعتبره البلاغيون العرب)، هي "خبر وصفي" (Attributive assertion) لا مقارنة وحسب. فعندما نقول إن "هذا العمل **سجّن**"، فإننا "ننسب" (attribute) الخصائص البارزة للصنف "سجن" إلى العمل الذي نحن بصدد ذكره.²⁵

المزج المعرفي (Cognitive Blending):

نأتي الآن إلى المنهجية التي نتبناها لدراسة الاستعارة، وهي مبنية على نظرية "المزج المعرفي" التي طورها "جيل فوكونيه" (Gilles Fauconnier) و"مارك تورنير" (Mark Turner) انطلاقاً من "نظرية الفضاءات الذهنية" (Mental spaces) لصاحبها "جيل فوكونيه" المولود عام 1944. تهدف نظرية الفضاءات الذهنية إلى كشف العلاقات الخفية بين عناصر من مختلف النماذج الذهنية (Mental models) التي ينشئها المتكلمون، وهي علاقات تدخل في شبكة واسعة من الحوادث الدلالية من مثل "غموض الغرض" (Scope ambiguities) و"النفي" (Negation) و"المحاكاة المضلّلة" (Counterfactuals) و"آثار الإبهام" (Opacity effects).²⁶

ومن الأسس التي قام عليها المزج المعرفي، الأفكار التي أتى بها "جورج لاكوف" (George Lakoff) في كتابه "نار النساء وأشياء خطيرة" (Women Fire and Dangerous Things).²⁷ كما أن المزج المعرفي مرتبط بنظريات "الهندسة المعرفية" (Cognitive Architecture) و"النظريات القائمة على الأطر النموذجية" (Frame-based theories) من مثل نظرية "مارفين مينسكي"، ونظرية "جايم كاربونيل" (Jaime Carbonell) وآخرين.²⁸

قدم "فوكونيه" و"تورنير" نظرية المزج المعرفي، لأول مرة، عام 1993، وبرز ذلك في كتابهما "وجهة تفكيرنا" (The Way We Think).²⁹⁻³⁰

حسب نظرية المزج المعرفي، "تمتزج" العناصر والعلاقات الحيوية المنتمية لوجهات مختلفة في "سيرورة لاشعورية" (Subconscious Process) تعرف بـ "المزج المعرفي". من المسلم به أن هذه السيرورة ثابتة الوجود في التفكير اليومي واللغة اليومية. وتشكل الرؤى المحصلة من المزج المذكور نتاجاً للتفكير الخلاق.³¹

قد لا يتسع المقام لعرض الجوانب البارزة في نظرية المزج المعرفي، لذا نحيل الباحث فيها إلى مضانها. وما يهمنا في مقامنا هذا أن هذه النظرية أو المنهجية (إذ نحن نتخذها منهجية لتحليل الاستعارة في السيرورة الترجمية) تضطلع بمهمتين اثنتين:
أولاً- اهتمامها بالاستعارة نصاً أو مقاطع نصية طويلة، وهي المسماة "الاستعارة الممتدة" (Extended Metaphor).
ثانياً، خاصيتها النسبية (attributive)، إذ هي تنسب خصائص مجال أو فضاء دلالي إلى مجال أو فضاء دلالي آخر.
ولعل ذلك يتضح من خلال ولوجنا تفاصيل التطبيق المقترح.

تحليل الاستعارة بالمزج المعرفي: 1- وصف المدونة:

المدونة التي ارتأيناها موضوعاً لتطبيقنا هي القسم الأول من رواية "الغريب" (L'Étranger) لكايتها "البيير كامو" (Albert Camus) التي تنقسم، في أصل تأليفها، إلى قسمين.³²
ترجمت رواية "الغريب" إلى أربعين لغة ووصلت أعداد نسخها المبيعة إلى 6,7 مليون نسخة. طبعت الرواية أول ما طبعت عام 1942، واقتبست في فنون أخرى منذ عام 1967.
لقد أسال ولا زال "كامو"، الحائز على جائزة نوبل للأداب عام 1957، يسيل الحبر الكثير من أقلام النقاد والفلاسفة والمفكرين، وهو الذي لم يكن يقدم نهجا أدبيا وحسب بل ووجهة فلسفية تنتمي في مجملها إلى التصور الوجودي.

يعتبر الفيلسوف "جان بول سارتر" (Jean-Paul Sartre)، أحد أكبر فرسان الوجودية إن لم يكن كبيرها الأول، ورواية "الغريب" بالأساس مثال بارز لنظرية "كامو" في "اللامعقول" (The Absurd)، كما هي الحال بالنسبة لمسرحية "كامو": "كاليغولا" (Caligula) (الصادرة عام 1938 والمعدلة عام 1958) والمقال الأدبي "أسطورة سيسيفوس" (Le mythe de Sisyphe) (الصادرة عام 1942).³³

وعليه فحسب "سارتر" ومن بعده نقاد ومفكرون كثيرون، تعتبر ثلاثية (Trilogie) "كامو" ("كاليغولا" و"أسطورة سيسيفوس" و"الغريب") النواة المركزية لنظرية اللامعقول "الكاموية". ورواية "الغريب"، تحديداً، قد أثارت تأويلات كثيرة: سياسية وفلسفية ونفسية وغيرها.

ما يهمنا في وصف المدونة نقاط قليلة نختصر بها طريق هذا الوصف إذ المقام لا يتسع للاستفاضة، وهي تمهد للاستنتاجات التي سنخرج بها من تطبيق منهجية المزج المعرفي على الاستعارة الممتدة في القسم الأول من رواية "الغريب". وسنورد النقاط المذكورة كالاتي:

• أولاً، يذكرنا "إدوار مورو سير" (Édouard Morot-Sir) بالعناوين التي ارتأها "كامو" لرواية "الغريب" قبل اختياره عنوان "الغريب"، وهي كالاتي: "الحياء" (La Pudeur)، "رجل سعيد" (Un Homme heureux)، "رجل حر" (Un Homme libre)، "رجل كالآخرين" (Un Homme comme les autres).³⁴

• ثانياً، يعتبر "مورو سير" "الغريب"، قبل كل شيء، ذلك الإنسان المنفصل والقادر على رؤية نفسه بشفاافية وتبصر.³⁵

• ثالثاً، يقول "سارتر" عن "الكتابة الحيادية" (L'écriture neutre) بالماضي القريب المركب (Passé composé simple)، التي كتبت بها الرواية، إنها: "تزيد من حدة وحدة (Solitude) كل وحدة جمالية (unité phrastique)."³⁶

• يقول "سارتر" إن: "الغريب الذي وصفه [الكاتب]، هو تحديد الصورة الشنيعة للبريء الذي يصنع فضيحة مجتمع ما، إذ هو لا يقبل قواعد اللعبة في ذات المجتمع. إنه يعيش بين الغرباء، بيد أنه أيضاً غريب في نظرهم ... إننا نبحت دون جدوى على الحكم عليه حسب معاييرنا التي اعتدنا عليها: إنه، بالنسبة لنا أيضاً، غريب".³⁷

مما سبق، لنا أن نقرر أن بطل الرواية "مورسو" (Meursault) يعاني خصوصيتين بارزتين: "التفرد" و"الوحدة" وهذا ما سنبرزه في التطبيق.

2 - الفضاء المستهدف (Target Domain):

نستخدم في تطبيقنا هذا المزج المعرفي في دراسة "الاستعارة الممتدة" (Extended Metaphor) الموجودة على مدى 29 صفحة من القسم الأول من رواية "الغريب". وقد سبق وأن قلنا إن هذا النوع من الاستعارة يُبحث في مقاطع نصية طويلة.

والعمل بالمزج المعرفي يجري من خلال الجمع بين فضائين ذهنيين "مصدر" و"مستهدف"، ومتى ما أمكننا الربط بين الفضائين المذكورين، فإن فهم وإدراك الاستعارة يصبحان جزئيين من "سيرورة المزج" (Blending process) التي تجعل من الفضائين يختطان ليشكلان الاستعارة عوض أن يأتي أحدهما ليلتصق فوق الآخر دون ارتباط عضوي.

من خلال المسح الذي أجريناه على القسم الأول من الرواية، وجدنا أن بطل الرواية "مورسو" يدور في فضاء ضيق يتمثل في شقته الصغيرة بالجزائر العاصمة ومقر عمله غير بعيد عن الشقة. ونستدل على ذلك بالمقطعين النموذجيين التاليين على سبيل المثال لا الحصر، الأول يدل على عزلة مادية محسوسة، والآخر على عزلة معنوية تجاه الآخرين:

المثال الأول:

Je ne vis plus que dans cette pièce. L'appartement est trop grand pour moi et j'ai dû transporter dans ma chambre la table de la salle à manger.

يبرز هذا المقطع بجلاء مدى الحيز المادي الضيق الذي يعيش فيه البطل - الراوي مما يبرز تقوعا وانعزالا هو في جزء منه إرادي يرتئيه البطل لنفسه. يتمثل هذا الفضاء، في القسم الأول من الرواية، في

أماكن ثلاثة: الشقة ومقر العمل وحيث توجد دار العجزة، تشكل الشقة الجزء المهيمن عليها.

المثال الثاني:

« *Ce n'est pas de ma faute* »

كانت هذه إجابة "مورسو" في رده على صاحب العمل المستاء لكون أجيده سيغيب في إجازة قصيرة لحضور جنازة أمه المتوفية، حيث يقول: "ليس هذا ذنبي" وهو يقصد حدوث وفاة أمه . ولا شك أن إجابة كهذه تنبئ عن مدى عزلة البطل - الراوي على مستوى المشاعر حتى تجاه أقرب الناس إليه وهي أمه التي كان قد أدخلها سابقا دارا للعجزة في إحدى ضواحي الجزائر العاصمة، فهو بذلك بعيد عاطفيا عن والدته ولا يأبه بتفاصيل مشاعرها، إلى درجة أنه لم يشأ النظر إلى وجهها وهي في نعشها المغلق على جسدها الهامد إلى الأبد.

3 - الفضاء المصدر (Source Domain):

الآن وقد كشفنا بعضا من ملامح الفضاء المستهدف التي تحمل خصائص "الوحدة" و"العزلة" و"التحرر" من الارتباط بالآخرين حتى على مستوى المشاعر والعواطف، بل وحتى مع أقرب الناس إليه. سعى، في رأينا، الكاتب إلى إبراز خصائص هذا الفضاء من خلال استعارة ممتدة باستعارة بعض من الخصائص من فضاء آخر، نسميه: "الفضاء المستهدف"، هو "فضاء الطيور"، وسندلل على ذلك بالأمثلة التالية:

المثال الأول:

(...) *on aurait dit d'un jacassement assourdi de perruches.* [p.11]

جاءت هذه الجملة في وصف أصوات العجزة أثناء حديثهم، حينما كان البطل - الراوي في دارالعجزة لحضور جنازة أمه. ويظهر

بوضوح من العبارة الدالة، أو لنقل "المرجع المعرفي" (Réfèrent cognitif)³⁸ المكتوب بالخط المغلظ استعارة خاصة من خواص الفضاء الذهني التابع لعالم الطيور لوصف أصوات العجزة وهم يتكلمون بينهم وتشبيه هذه الأصوات بالأصوات التي تصدرها طيور الدرّة.

المثال الثاني:

(...) *Ce qui me frappait dans leurs visages, c'est que je ne voyais pas leurs yeux, mais seulement une leur sans éclat au milieu d'un nid de rides.* [p. 17]

نجد المرجع المعرفي هنا يدل على استعارة أخرى من فضاء الطيور، حيث توصف أخاديد التجاعيد الكثيرة في وجوه العجزة كما لو كانت أعشاش طيور.

المثال الثالث:

(...) *Vernie, oblongue et brillante, elle faisait penser à un plumier.* [p.24]

جاءت هذه العبارة في وصف سيارة النعش، وقد يتعجل المترجم ويحاول ترجمة المرجع المعرفي المشار إليه بالمقلمة أو علبة الأقلام، ولا شك أن إيحاء الريش واضح، لذا - ولمراعاة الاستعارة الممتدة - ينبغي الانتباه لهذا الإيحاء.

المثال الرابع:

(...) *ma joie quand l'autobus est entré dans le nid de lumières d'Alger.* [p.29]

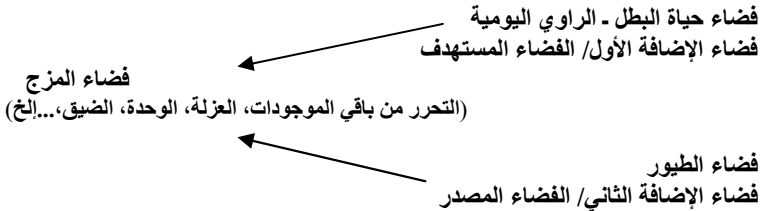
عند عودة البطل - الراوي من دار العجزة إلى مدينة الجزائر، يصفها ويصف أضوائها وهو يدخلها، كما يوضح ذلك المرجع المعرفي المبين، على أنها عش من الأنوار.

من الأمثلة السابقة، نستخلص أن الكاتب على مدى الصفحات التسع والعشرين الأولى من القسم الأول من الرواية، يستعير من فضاء الطيور ليفصل في وصف الفضاء اللصيق ببطل روايته. وعليه، نستدل بذلك أن الفضاء المصدر في هذه الاستعارة الممتدة هو "فضاء الطيور".

4 - فضاء المزج (Blending Domain):

من المزج بين الفضائين المذكورين تستبين لنا سيرورة الاستعارة الممتدة ونحصل على فضاء ينتج من تزاوج الفضائين. تعتبر نظرية المزج المعرفي هذا الفضاء فضاءً قائماً بذاته له بنيته الخاصة، ويحتوي عناصر لا توجد في كلا فضائي الإضافة (Input domains) السابقين. والتحدي الذي علينا رفعه قصد سبر أغوار الاستعارة الممتدة بالاعتماد على نظرية المزج المعرفي، هو كشف فضاء المزج الناتج وتبيان بنيته وعناصره المستقلة عن فضائي الإضافة.

فمن إرادة الكاتب وصف فضاء البطل - الراوي الأولي المتمثل في محيط عيشه وأفكاره (الفضاء المستهدف) والاستعانة بفضاء آخر (الفضاء المصدر) قصد التمكن من هذا الوصف، نتج فضاء ثالث هو فضاء المزج يفرض معرفته علينا حتى نتمكن من الترجمة السليمة للاستعارة ونقد ترجمة هذه الاستعارة نقداً عالمياً. لنمثل الفضاء الذي استخلصناه كالاتي:



لنرى كيف كان تعامل المترجمون مع الاستعارة الممتدة التي رأينا بعضها من ملامحها، ولتكن ترجمتين اثنتين وقعنا بين أيدينا. الأولى، نرزم لها بالرمز "ت 1"، وهي ترجمة د.محمد غطّاس، الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة بتاريخ 1418/1997.

والثانية، نرزم لها بالرمز "ت 2"، وهي ترجمة دون مؤلف ولعلها تمت على يد مجموعة من المترجمين، صادرة عن المكتبة الثقافية ببغداد بتاريخ 1402/1983.

رصد الترجمات:

المقطع الأصلي الأول:

Nous avons traversé une cour où il y a avait beaucoup de vieillards, bavardant par petits groupes. Ils se taisaient quand nous passions. Et derrière nous les conversations reprenaient. On aurait dit d'un jacassement assourdi de perruches. A la porte ...
[p.11]

ت 1

ثم عبرنا فناءً به الكثير من المسنين الذين كانوا يتوقفون عن الحديث عندما كنا نمر بهم، ثم يتابعون ثرثرتهم بعد مرورنا. وأمام باب ...

ت 2

واجتزنا فناءً فيه كثير من العجزة يثرثرون، وقد انقسموا إلى جماعات. وصمتوا حينما مررنا بهم، ثم استأنفوا الحديث بعد أن تجاوزناهم، وكان لحديثهم رنة صوت الببغاوات وثرثها. وعند الباب ...

عند قراءة الترجمتين، نجد أن "ت 1" انتهجت الحذف، حيث لا نجد للاستعارة أثراً فيها، أما "ت 2" فقد حاولت نقل الاستعارة للغة المستهدفة وإن كنا نرى النقل ناقصاً، مع تحاشي الحكم والنقد

المعياريين، إذ أنت بحقيقة الطير (البيغاء) ، مع التحفظ على الاختلاف بين البيغاء وطائر الدرّة وإن كان بينهما بعض التشابه. وعليه، فإن الترجمة الأولى ألغت الاستعارة كلية، أما الثانية فأنت بها ناقصة.

المقطع الأصلي الثاني:

Les hommes étaient presque tous très maigres et tenaient des cannes. Ce qui me frappait dans leurs visages, c'est que je ne voyais pas leurs yeux, mais seulement une lueur sans éclat au milieu d'un nid de rides. [p. 17]

1ت

وكان الرجال تقريبا شديدي النحافة ويقبضون على عصي. ومن العجيب أنني لم أكن أرى لهم عيوننا، بل فقط نوعا من الضوء الباهت وسط أخدود من التجاعيد.

2ت

أما الرجال فكانوا في غاية الهزال وكان كل منهم يمسك بعضا. والشيء الذي أدهشني وأنا أتطلع إلى وجوههم، أنني لم أستطع أن أتبين عيونهم، وكل ما رأيته هو وميض غير لامع في وسط حفرة من التجاعيد.

نجد هنا أن الترجمتين لم تلغيا الاستعارة بحذفها، كما فعلت "1ت" في المقطع الأول، ولم تحاول نقلها كما فعلت "2ت" مع ذات المقطع الأول، وإنما ألغيت الاستعارة بالجوء إلى "الفضاء المستهدف الحقيقي للرواية". ولا شك أن مرد هذا، الجهل بأهمية الاستعارة الممتدة في النص الأصلي.

المقطع الأصلي الثالث:

Devant la porte, il y avait la voiture. Vernie, oblongue et brillante, elle faisait penser à un plumier. A côté d'elle ...

1ت

أمام الباب، كانت هناك العربة، طويلة لامعة. إلى جانبها ...

2ت

وأمام الباب كانت تقف، مجلوة، طويلة ولامعة، ويخيل لمن يراها أنها ذات خطوط، وبجانبيها كان يقف المشرف على الجنازة ... نجد هنا تجاهل تام عن الاستعارة، إذ انتهجت الترجمتان نهج الحذف التام.

المقطع الأصلي الرابع:

(...) *et ma joie quand l'autobus est entré dans le nid de lumières d'Alger.* [p.29]

1ت

(...) ثم سعادتني عندما دخل الأتوبيس إلى أضواء الجزائر العاصمة.

2ت

(...) كما أذكر ابتهاجي حينما عاد بي الأتوبيس إلى مدينة الجزائر حيث استقبلتني أنوارها الساطعة (...)
هنا أيضا تجاهل تام للاستعارة بحذفها من الترجمة في الحالين.

خلاصة:

في نهاية بحثنا هذا، وبعد استعراضنا لبعض من تفاصيل الاستعارة الممتدة بالاعتماد على نظرية المزج المعرفي، نؤكد أهمية البحث المستفيض في هذه الحقيقة المعرفية التي هي قارة في اللغة إن كان ذلك عن قصد من المتكلمين بذات اللغة أو عن طريق اللاشعور منهم.

وقفنا على بعض من التفاصيل التي تجعل من هذه الاستعارة تمتد على مقاطع نصية طويلة، بل وقد يصل الأمر إلى أن يشمل مؤلفا بأكمله، ويتأتى هذا بمحاولة كشف خواص معينة من فضاء مستهدف هو الفضاء اللصيق بالفضاء الذي يحاول المتكلم وصفه بالاعتماد على

فضاء مصدر يستحضره المتكلم وقد لا يكون له وجود مباشر بوضعية الكلام التي يكون المتكلم بصدددها.

كما رأينا كيف أن الجهل بحقيقة الاستعارة الممتدة والمزج المعرفي، قد يجعل المترجم ومن بعده ناقد الترجمة لا ينتبهان لحذف أو نقل ناقص يشكل خسارة في المعنى والأسلوب. ونحن إذ نقول هذا لا نرى النقل الحرفي تقنية وحيدة لا نظير لها في التعامل مع هذا النوع من الاستعارة، بل ندعو إلى رصد الاستعارة رسدا تاما على أجزاء طويلة من الملفوظ، بل على الملفوظ بالكامل، ثم النظر في التقنية المناسبة لنقل الاستعارة (الترجمة الحرفية، التكافؤ، الإبدال،....) ومن بعدها الإستراتيجية المناسبة (الاعتماد على قارئ النص الأصلي أو قارئ النص المستهدف أو سيرورة الترجمة أو غير ذلك) لإنجاح النقل المذكور.

النقطة الأخيرة التي نراها من الأهمية بمكان، هي التوسع والتعمق في رصد فضاء المزج، وهو كما سبق ذكره الفضاء الناتج عن المزج بين الفضائين المستهدف والمصدر. فهذا الرصد العميق يجعل في نظرنا المترجم أقرب إلى الاضطلاع بالمهمة التي يمنحه إياها التوجه الهرمينيوطقي أي أن يكون مشاركا في صناعة المعنى إلى جانب مؤلف النص الأصلي، حيث يجعله التعرف الدقيق على الفضاء المذكور أن يكون أكثر تحررا من لغة الملفوظ الأصلي والتحكم في فضاء استخلصه وعبر عنه بلغته الخاصة به وفق استراتيجية معينة.

هوامش:

1- Miller, G.A.(1951) *Language and Communication*, McGraw-Hill.

2- Miller, G.A. « The Cognitive Revolution: A Historical Perspective », *TRENDS in Cognitive Science*, vol. 7, n° 3, March 2003, P.141.

- 3- "السايرنيطيقية"، هي مجموع النظريات والدراسات المتناولة للأنظمة من زاويتي التحكم والتواصل. (قاموس اللغة الفرنسية "هاشيت").
- 4- Miller, G.A. « The Cognitive Revolution: A Historical Perspective », *Ibid.*, P.142.
- 5- *Ibid.*, P.143
- 6- *Ibid.* P.143.
- 7- Sémasiologie.
- 8- Zoosémiologie.
- 9- Anthroposémiologie.
- 10- *Ibid.* P.142.
- 11- Robert A. Wilson & Frank C. Keil. (1999) *The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences*, Bradford Books, P.134.
- 12- *Ibid.* P.134.
- 13- Politis, M. (2007) « Introduction », *Meta*, vol. 52, n°1, P.2.
- 14- Politis, M. (2007) « L'apport de la psychologie cognitive à la didactique de la traduction », *Meta*, vol. 52, n°1, P.2.
- 15- مجدي وهبه وكامل المهندس (1984) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ص27.
- 16- المرجع نفسه، ص28 - 30.
- 17- مجدي وهبه (1974) معجم مصطلحات الأدب: إنكليزي - فرنسي - عربي، مكتبة لبنان، ص315.
- 18- المرجع نفسه، ص315.
- 19- المرجع نفسه، ص315.
- 20- Leezenberg, M. (2001). *Contexts Of Metaphor*, Elsevier Science Ltd, P.4.

- 21- *Ibid.*, P.VIII-X.
- 22- Robert A. Wilson & Frank C. Keil. *Op.cit.* P.535.
- 23- *Ibid.*, P.536.
- 24- *Ibid.*
- 25- *Ibid.*
- 26- *Ibid.*, P.134.
- 27- Lakoff, G. (1987). *Women, Fire and Dangerous Things*, Chicago, University of Chicago Press.
- 28- Fauconnier, G. (1985) *Mental Spaces*. Cambridge, MA, MIT Press, P.73.
- 29- *Ibid.*, P.25.
- 30- Fauconnier, Gilles and Turner, Mark (2002), *The Way We Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities*, New York, Basic Books.
- 31- Fauconnier, G. (1985). *Mental Spaces. Op.cit.* P.99.
- 32- Camus, Albert. *L'Étranger*. Paris, Gallimard, 1957 (Coll. Folio, 1971).
- 33- Sartre, Jean-Paul. « Explication de L'Étranger ». *Situations I*. Paris, Gallimard, 1947, PP.96-97.
- 34- O'Donohoe, Benedict. « L'Étranger and The Messianic Myth, or Meursault Unmasked ». *PhaenEx* 2, n°1, spring/summer 2007, P.1.
- 35- *Ibid.*
- 36- Sartre, Jean-Paul, *Op.cit.*, PP.96-97.
- 37- *Ibid.*
- 38- المرجع المعرفي، هو كل شيء أو خاصية أو حدث أو غير ذلك، عندما يندرج تصريحاً أو تضميناً في نص ما في إطار فعل تواصلية معين.